دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أثر البيئة وتعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية: السودان حالة دراسة
المصدر:	مجلة التأصيل
الناشر:	جامعة دنقلا - مركز تأصيل المعرفة والعلوم
المؤلف الرئيسي:	إدريس، محمد فتح الرحمن أحمد
المجلد/العدد:	ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2019
الشهر:	يناير
الصفحات:	8 - 19
رقم MD:	1144286
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	العمارة الإسلامية، تعاليم الإسلام، التخطيط العمراني، الحماية البيئية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1144286

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أثر البيئة وتعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية
(السودان حالة دراسة)

د. محمد فتح الرحمن أحمد إدريس
جامعة دنقلا كلية الآداب قسم الأثار

المستخلص:
العمارة الإسلامية هي الخصائص البنائية التي استعملها المسلمون لتكون هوية لهم، وقد نشأت تلك العمارة بفضل الإسلام؛ وذلك في المناطق التي وصلها الإسلام، بالإضافة إلى المناطق التي حكمها المسلمون لمده طويلة، وتأثرت خصائص العمارة الإسلامية وصفاتها بشكل كبير بالدين الإسلامي، والنهضة العلمية التي شهدتها الدولة الإسلامية، وكذلك نرى تطور الشكل والوظيفة عبر الزمن تبعاً لتغير الظروف السياسية والمعيشية والثقافية للسكان. كما تأثرت العمارة بالبيئة ؛ فالإنسان قبل أن يشيد عمارته لا بد أن يكتشف النظام البيئي المحيط به سواء كانت ظروف طبيعية كالمناخ والتضاريس وموارد المياه والمواد المتاحة للبناء ، وغيرها حتى يضمن المواءمة بين العمارة والطبيعة. وستتناول في هذه الورقة الدور الذي تلعبه البيئة والتعاليم الإسلامية ، وأثرهما في تخطيط العمارة الإسلامية، مع الوضع في الاعتبار اختلاف البيئات في المناطق المختلفة. بتسليط الضوء على السودان بكل بيئاته وثقافاته المختلفة.

مقدمة:
إن فنون العمارة الإسلامية ميادين كُتب فيها الكثير، إلا إن هذا الكثير ما زال قليلاً؛ فالعمارة بكل وظائفها تعطينا فكرة واستلهام للمستقبل من خلال الدروس التي يلقيها علينا هذا الكم الهائل من الأبنية المعمارية، فنمط البناء وشكل وطبيعة المواد المصنوع منها – قد تكون أصلح للبيئة التي تم فيها البناء ، وأماكن السكن دائماً تعطي فكرة عامة عن الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الفترات السابقة. وأسوار المدن والقلاع والقصور المحصنة ، وأماكن تشييد المدن تمدنا بالأفكار والأوضاع التي تعيشها الامه في ظروف الحرب والسلم. ومواد البناء من حجارة وطين وأخشاب ومعادن تبين لنا التقدم الحضاري عموماً ، والتقني خصوصاً، كما تشير إلى العوامل الجغرافية، وتأثيرها

في نمط العيش والحياة عموماً. وكلما وقفنا على المزيد من التفاصيل داخل هذه العمارة، كلما كشفنا الشخصية التاريخية للأمة، وموقعها الحضاري، وما أخذته من السابقين، وما تركته للاحقين (زيادة، ١٩٨٨: ٤).

من أعظم نعم الله على الإنسان قدرته الفائقة على التلاؤم مع ظروف البيئة المتغيرة؛ فالإنسان يستطيع أن ينظم حياته ويجعلها مواكبه، حسب التغيرات البيئية والاجتماعية من حوله، ودائماً ما يصحب هذه التغيرات البيئية تغير في المجال العقلي والفكري(قاسم، ١٩٧٢: ٥٥).

لكل أرض ملامحها التي تختص بها دون غيرها، وعالمنا الذي نسكن، وأن اشترك في أمور كثيرة - يتباين في أخرى، وقد ظهر ذلك في العمارة باعتبارها نتاج مادي يتفاعل مع خصائص النفس البشرية بكل ما فيها، حتى قبل إنشائها، فالمنشأ المعماري هو فكرة وتصور قبل أن يتحول إلى واقع مادي ملموس، والعمارة فن وعلم امتزجا مع بعضهما البعض، بل أن العمارة مرتع خصب لتفاعل كل شيء، الفكر والإنسان والعقيدة والعلاقات الاجتماعية، والحاجات المادية والروحية، والعوامل البيئية والمناخية والاقتصادية، وعوامل أخرى (الربيعي، ١٩٩٩ : ٦).

تعكس المعالم الحضارية المعمارية تاريخ الجماعات البشرية، وتدل على ما وصلت إليه من تقدم عمراني حضاري، وتعبر عن أصالة تاريخها واستغلال وجودها وتمييز شخصيتها وعطائها وإقامتها في المكان، وآخر ما توصل إليه فكرها المعماري من خلال الزخارف والتصاميم، وتناسق البناء، وتوزيع الوحدات داخل المسكن (الموسى، ١٩٩٥: ٢٦).

كانت العمارة نتاج لحاجات الإنسان البيئية والاجتماعية والثقافية والسياسية ممتزجة مع الفكر الذي يحرك السجايا، ويتطور مع الزمن بحسب المتغيرات، ولا يرسى على حالة ثبوت، ولا يمكث في عالم المحنطات ، ويبقى قابعاً في التاريخ. وهذا يشكل التباين بين مفهومي العمارة، كفكر وفلسفة، وعمارة المسلمين كنتاج وأشكال تبين الهوية الثقافية، والمستوى الإبداعي، والجمالي للإنسان.

تمثل مواقع التراث العمراني الإسلامي في السودان معالم وشواهد حية تؤكد على أصالة العمران، وعراقته، وارتباطه الوثيق بالبيئة المحلية، والعادات، والتقاليد المتوارثة؛ فهو

يشكل عنصراً ومكوناً مهماً من عناصر الهوية الثقافية والمعمارية، كما أنه يمثل ذاكرة الأمة بكل ما فيها من أحداث على مر التاريخ. وتتأثر العمارة بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية؛ فهي تعكس عمق التفاعل الإيجابي مع البيئة المحيطة بها(عزب، ٢٠٠٢ :٢٠١).

منذ أن وجد الإنسان على الأرض، وهو دائب الجهد في تكييف الطبيعة حوله لملائمة حاجاته الجسدية والروحية، وأنه كذلك بفطرته وحسه المرهف للجمال وعشقه للإبداع، وقد حاول أن يصوغ كل ما تشكله يداه في قالب فني، يعبر به عن رغباته الكامنة على صور مختلفة، تتباين في تشكيلاتها وفق قدراته، ومقدار تأثره بما حوله(عكاشة، ١٩٩٣: ١٧).

يحتل المسكن، أو المأوى مرتبة عليا بين حاجات الإنسان ؛ ففي كل العالم في الأقاليم الباردة، الحارة، الممطرة والصحراوية يقوم الأفراد بتشييد المساكن؛ لأنها تمثل النقطة المركزية لحياتهم اليومية، وللمسكن وظائف متعددة كالحماية من البرودة والحرارة والرياح والمطر والحيوانات المفترسة، وغالباً ما تكون مادة البناء المتاحة في أي منطقة جنباً إلى جنب مع الاختلافات في أنماط البناء، ونجد أن المادة المتاحة في الغالب كانت مادة الطين اللبن والحجارة التي استخدمت في إقامة المساكن، وهذه المادة كانت قاسماً مشتركاً لدى معظم العمارة في السودان، وعلى هذا الأساس فإن استخدام الطين اللبن والحجر في هذا المضمار مرتبط بنشاط الإنسان في حياته اليومية عبر عصور التاريخ المختلفة. ولذا تُعدُّ صناعة الطوب والطين اللبن من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ الحضاري (عبد الهادي، د.ت :١٦٢).

إن من أهم صفات العمارة الجيدة، التصميم الذي يشتمل على القيم الوظيفية والجمالية معاً، ومهما يكن المهندس المعماري مراعياً للقواعد الفنية، ومهما يكن التنفيذ دقيقاً – فإن جمال العمارة، وكمالها يعتمد في كثير من جوانبه على شخصية الصانع التي يريد أن يحققها. وللعمارة الإسلامية شخصيتها، وطابعها المميز، سواءً كان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم العناصر المعمارية المميزة، أم الزخارف المستعملة (الألفي، د.ت :١٢٠).

الثابت تاريخياً أن فن العمارة في السودان نشأ منذ أقدم العصور، وقد شهدت الأرض قبل آلاف السنين تشاطر البناء والعمارة؛ فكان للإنسان إبداعه وتقنيته في البناء، رغم قلة ما لديه من مواد مستخدمة، وتقنيات حديثة؛ فنجده أبهر الناظر بمخلفاته المعمارية التي ظل بعضها باقٍ ليومنا هذا، وبالرغم من أفول نجم تلك الحضارات إلا أن آثارها ظلت باقية، ومع مرور الزمن أصبحت رموزاً صامتة تحكي عن عظمة الإنسان.

١- أثر البيئة في تخطيط العمارة الإسلامية :

البيئة هي الإطار الذي يحيط بالإنسان، وكل مكوناته الطبيعية والاجتماعية التي تؤثر في حياته ونشاطاته ويتأثر بها، ويمكن تقسيمها إلى الآتي:

أ. البيئة الطبيعية التي تتكون من الهواء والماء والتربة والنبات والحيوان والإنسان، بالإضافة إلى تفاعلاتها مع بعضها البعض.

ب. البيئة الاجتماعية التي تكونها علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتشمل اللغة والدين والثقافة والتقاليد والأعراف ونظام الحكم. البيئة المنشأة، وتشمل كل ما هو من صنع الإنسان من معمار وطرق وصناعات ومركبات وغيرها.

ت. البيئة الاقتصادية التي كان لها تأثيراً كبيراً في توجيه الفنون في مراحل تطورها؛ فقد كان للرخاء والفقر أثرهما في حجم الإنتاج الفني، وأنواعه وقيمته، ومن ناحية أخرى فإن نظم توزيع الثروة على أبناء الأمة تركت أثرها في فن العمارة.

هذه الأنواع الثلاثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض، وكل واحدة تؤثر في الأخريات بطريقة مباشرة، وغير مباشرة؛ وهذا يعني أن البيئة هي مصدر كل احتياجات الإنسان الأساسية في حياته اليومية(عبد اللطيف، ١٩٩٩: ٢٠).

يتفق الجغرافيون على أهمية المناخ وعناصره، وفي تقديرهم أن المناخ من أهم العناصر التي تشترك في صياغة الواقع الطبيعي في أي إقليم. ويعتقد البعض أن عامل المناخ يؤثر في القدرة العضلية والعقلية، وعلى مزاج الفرد والجماعة، ويؤثر في أنماط استخدام الأرض، ودائماً ما يحرص الإنسان في أي إقليم على مواجهة ضوابط المناخ وتحدياته؛ لكي يطوع الواقع المناخي بشكل لا يحول دون استخدام الأرض لغير احتياجاته، في إطار نمط من أنماط الاستجابة والتلاؤم (الشامي، ٢٠٠٠ ، ٩٩).

لا شك أن فن البناء عند أي شعب من الشعوب لا يبدأ من الصفر، إذ لا بد وأن يكون في ميراث كل شعب من هذا الفن شيء، أو قليل، وبالتالي تصبح مهمة أجياله في كل عصر من العصور هي التغيير والتطوير عن طريق إضافة عناصر جديدة إلى مكونات فن البناء عند هذا الشعب، وهكذا كان الأمر بالنسبة للعمارة الإسلامية، في السودان؛ فالمعمار والبناء هو فن يدخل ضمن النشاط البشري للإنسان، ويرتكز على خبرته الجمالية التي تُعدُّ تجربة إنسانية لا يختص بها قوم دون قوم، أو جنس دون جنس آخر، أو حتى عصر تاريخي دون عصر آخر، بل هي ظاهرة بشرية عامة، وفن البناء والعمارة يعكس إحساس الإنسان بالطبيعة المحيطة به إحساساً عميقاً، وهذا الإحساس لا يأتي من فراغ بل يسبقه اكتشاف لنظام البيئة المحيطة بهذا الإنسان، ويعقب مرحلة الاكتشاف مرحلة الانسجام مع البيئة والتوافق معها والانتفاع بعناصرها (حسين ، ١٩٨٧: ٢٣٦).

يستخدم الإنسان دائماً الموارد المتاحة في بيئته؛ ليحقق أهدافه التي ترضي طموحه، فنجده استخدم الأرض في مجالات عديدة في مقدمتها المعمار الذي يُعدُّ جزءً أصيلاً من قصة الحياة على الأرض. كما يعبر عن صورة من صور الانتفاع بها، بصرف النظر عن كل التباين بين أشكال العمارة، والعوامل التي تؤثر في عملية استخدام الأرض لحسابها، فإن العمارة بكل وظائفها تُعدُّ حاجة ملحة، أو أساسية في حياة الإنسان؛ لأنها مكان راحته، وأمنه، وممارسة معتقداته، وأماكن خصوصيته(الشامي، ٢٠٠٠: ١٩٩٨).

يعد الإنسان أهم عامل حيوي وفعّال في البيئة، ولقد كرمه الله عز وجل، وفضله على سائر عناصر البيئة، بل سخرها له؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (سورة الأعراف آية ٧٤). بوأكم في الأرض أي أسكنكم، وكلمة البيئة مشتقه من بوأ وتبوأ، أي: أقام وسكن واتخذ منزلاً، وعلى ذلك فبيئة الإنسان هي مكان سكنه، وكل ما يحيط به من عناصر طبيعية كالماء والهواء والتربة والكائنات الحية. هنالك عدة عوامل بيئية تساهم في إعداد الإنسان لعمرانه منها :

أ. طبيعة الأرض إذا كانت مستوية أو جرداء أو صحراء أو غابات، ونوع التربة أو أرض صالحة للزراعة، ومرتفعات ومنخفضات؛ فالبيئة في السودان مختلفة شماله عن جنوبه وشرقه عن غربه؛ فلذا نجد أن أنماط المساكن تختلف باختلاف البيئات. فكل منطقة في السودان لها عمارتها التي تتناسب مع بيئتها.

ب. العوامل المناخية كالأمطار، الرطوبة والإشعاع واتجاهات الريح (عبد العال، ١٩٧٦: ٢٥). فمثلاً منطقة شمال السودان تقع ضمن المناخ الصحراوي الجاف، وتقل فيه الأمطار، وترتفع فيه درجات الحرارة؛ لذلك لا بد من أن يشيد الإنسان مسكنه ليتلاءم مع بيته؛ فنجد العمارة مشيده أغلبها من الطين باعتباره أكثر المواد وفرة في المنطقة، وهذه المادة الطينية تكاد تكون مجانية، ويتم تصميم السقوف المائلة قليلاً؛ لأن كمية الأمطار بسيطة فلا توجد ضرورة لاستخدام السقف المائل، والأسقف نفسها صنعت من جريد النخيل، وهو من أكثر المواد المتاحة في شمال السودان؛ عليه نجد أن الظروف المناخية والبيئية هي التي فرضت نفسها على الإنسان في شمال السودان ليختار عمارته بهذا الشكل. كذلك اختلفت عمارة الإنسان الموجود في وسط، وجنوب، وشرق السودان تبعاً للعوامل المناخية؛ ففي وسط السودان نجد معدل نزول الأمطار متوسطاً؛ لذلك استخدم الإنسان في عمارته المواد التي تتناسب مع مناخه؛ فاستخدم الطوب الأحمر والأسمنت، وتميل الأسقف قليلاً لتسمح بنزول الأمطار. وفي المناطق التي يكون فيها معدل الأمطار عالياً يستخدم الإنسان القطاطي المصنوعة من القش، ويكون سقفها مائلاً ليسمح بنزول المياه(منطقة القضارف مثلا). وفي شرق السودان نجد المناخ رطباً؛ فاستخدم الإنسان بعض المواد التي تتلاءم مع البيئة كالأسمنت والخشب وإمالة الأسقف.

ت. يظهر أثر البيئة في المواد التي يصنع منها العمران، ولا بد من وجود التكيف، والمواءمة في كل الأحوال بين البيئة الطبيعية، والعمارة بكل وظائفها السكنية والدينية والجنائزية والدفاعية، ودائماً ما تختلف المباني المعمارية في موادها التي تبنى بها وخطتها وحجمها وشكلها. هنالك ارتباط وثيقٌ بين الإنسان، والبيئة،

وأن توزيع السكان على سطح الأرض يمكن تفسيره من قراءة ظروف بيئته.
وتوزيع السكان على الأرض لا يمكن ربطه بظاهرة طبيعية واحدة؛ لأنه نتاج ظروف طبيعية وبشرية متعددة (محمدين وآخرون، ٢٠٠٢: ٣٢٧).

ظهرت العمارة في بلاد مختلفة المناخات؛ لذلك تأثرت عمارتها باختلاف البيئات، وأصبح لكل بيئة أثرها في عمارتها؛ فحيث كانت الصحراء نجد عمارتها تأثرت بالبيئة الصحراوية؛ فجاءت تحكي ما يقع عليه البصر في الأرض، وما يمتد إليه الطرف في السماء.

إن تخطيط العمارة ما هو إلا انعكاس للحياة اليومية، وحياة المجتمع على المدى الطويل، ولا بد من ربط العمارة، والتخطيط بجميع العناصر المحيطة بها سواء كانت اجتماعية، أو دينية، أو مادية، يُراعى فيها الماضي والمستقبل (عكاشة، ١٩٩٣: ١٩).

إن سطح الأرض بكل ما ينطوي عليه من تنوع شديد تمليه الصفات، والخصائص الطبيعية. وكان من شأن الإنسان أن يسعى بكل أسلوب ممكن لاستخدام الأرض في كل منطقة، وفي كل بيئة من البيئات. فنجد أن التباين والتنوع الشديد في صفات، وخصائص البيئات والأقاليم، يؤثر بالضرورة في عملية السكن. بل يفرض هذا التباين في البيئات انتخاب، أو اختيار الموقع المناسب للسكن، كما يفرض النمط والأسلوب في التفاصيل، وخصائص الوحدات السكنية، والأدوار الوظيفية الأخرى(الشامي، ٢٠٠٠: ٩٩).

التكوين المعماري للمباني يكون له دائماً خلفية بيئية اجتماعية وثقافية؛ فالعمارة العمرانية السليمة هي التي تستمد أصالتها من بيئتها، فكل مجتمع له عاداته وتقاليده وبيئته(عبد العال ، ١٩٧٦ : ٢٢).

إن التحولات السياسية لها أثرها في طراز وأنماط العمارة، خاصة العمارة الإدارية والعسكرية والسياسية، والمقصود بالتحولات انتقال السلطة من جماعة إلى جماعة، أو من فرد إلي فرد، وهذا الانتقال يكون له في أغلب الأحوال أثر مباشر في العمارة، ويتضح ذلك بصفة خاصة في مقر الحكم. وهذا المقر أما أن يستمر في ضوء انتقال السلطة في أداء دوره الوظيفي، أو تتغير طبيعة هذه الوظائف تبعاً لمراسم، وتقاليد السلطة الجديدة، أو يتغير التركيب الداخلي لهذا المقر تبعاً لنمط السلطة الجديدة، أو ينتقل مقر الحكم إلى

مكان آخر بعيدٍ عن المقر القديم الذي يكون في بعض الأحيان محاطاً بأنصار السلطة القديمة. وقد يكون المقر الجديد محاولة من السلطة لإثبات وجودها على الساحة السياسية للبلاد. وهذا يفسر وجود علاقة بين العمارة والسلطة، وهذا يُعدُّ من التأثيرات السياسية والاجتماعية في العمارة (عزب ،٢٠٠٢ :٢٠٣).

٢- أثر تعاليم الإسلام في تخطيط العمارة الإسلامية :

لقد اهتم الإسلام بالإنسان وكرمه حياً وميتاً، لذلك نجد أن هناك منهجاً اتبعه الإسلام في مسالة تخطيط العمارة الإسلامية؛ لذلك ظهر التوافق بين مظاهر العمارة بكل أنواعها مع تعاليم الإسلام؛ بل استمدت هذه التعاليم من روح الإسلام. وكتب فقهاء المسلمين العديد من المؤلفات، ووضعوا القواعد والأسس، وسميت بفقه البنيان ومنها كتاب (إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى). (والإعلان بأحكام البنيان) لأبي عبد الله محمد إبراهيم. واعتمد هؤلاء الفقهاء في تناولهم لأحكام البنيان على آية في القرآن الكريم، وعلى حديث نبوي شريف؛ فالآية هي قوله تعالى: (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ) (الأعراف: ١٩٩) ، ويفسرون العُرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان بما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف. أما الحديث النبوي الشريف الذي يعتمد عليه الفقهاء في أحكام البنيان فهو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار)، ويُعدُّ هذا الحديث أحد الأحاديث الخمسة التي يقوم عليها الفقه في الإسلام.

كما صنفت القوانين الإسلامية البناء إلى: بناء واجب كالمساجد والأربطة والحصون والأسوار والجسور والسدود. بناء مندوب كالمآذن والأسواق. وبناء مباح كالمسكن والحوانيت، وبناء محظور كبناء الكنائس وحانات الخمور وغيرها من المباني التي تخالف أحكام الدين الإسلامي.

أولاً - العمارة المدنية (المساكن):

لقد وضع الإسلام أسساً، وضوابط للعمارة بكل أنواعها، وهذه الأسس مستقاة من تعاليم الدين الإسلامي؛ فمثلا العمارة المدنية، أو السكنية وضع لها ضوابط وهي:

١- بناء المسكن المباح شرعاً، لذلك ينبغي للمسلم عند الشروع في البناء عدم المباهاة، والإسراف، والتفاخر، ويجب مراعاة الضوابط الشرعية.

٢ - عدم إهمال الأبعاد الدينية والاجتماعية والجمالية والبيئية الأمنية للمسكن عند البناء.

٣- الحجم الأمثل لمجاورة سكنية إسلامية تحقق الترابط، والتراحم، والانسجام بين المسلمين.

٤- الخصوصية البصرية، أي بمعنى أن تتوفر في المسكن الخصوصية بمنع المحارم من الاختلاط بالمجالسة، أو المشاهدة، سواء من الجيران، أو الضيوف الأجانب.

٥ - الخصوصية السمعية، وهي حفظ أسرار المنزل في الداخل.

٦- الخصوصية المعيشية، ونعني بها التقسيم، أو التوزيع الوظيفي للمسكن من الداخل بحيث يضم مواقع غرف للنوم والجلوس والاسترخاء والطعام وغيرها.

٧- النهي عن التطاول في البناء ، تنهي الشريعة الإسلامية المسلم من التطاول في البناء لما فيه من مضار خاصة الجيران؛ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يوذِ جاره).

٨- توجيه الغرف نحو القبلة؛ فالمسلم مطالب بتوجيه مسكنه نحو القبلة؛ حتى تكون صالحة، ومناسبة للصلاة.

٩- المجاورة في المساكن، وفي هذا مناداة للترابط، والتلاحم بين المسلمين، والتعاون بين الجيران، ومعرفة أحوالهم.

١٠- وضعية مكان قضاء الحاجة، يجب أن يراعى في المسكن وضع دورات المياه عمودية على اتجاه القبلة؛ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (لا تستقبلوا القبلة بغائط، أو بول، ولا تستدبروها، ولكن شرقوا، وغربوا) (أحمد آدم خليل، ٢٠٠٨ : ١١٩).

ففي السودان نجد أن العمارة المدنية في أغلب الأحيان التزمت بما جاء به الدين الإسلامي مع الوضع في الاعتبار أن المجتمع السوداني فيه بعض الأقليات غير المسلمة، ولكنها التزمت، ولو بالقليل في تصميم المساكن، كم نلاحظ اختلاف المساكن في المدن من ناحية التصميم كل حسب بيئته، كما نلاحظ أن الجانب الاقتصادي للسكان يجعل هناك تبايناً في التصميم، ومواد البناء التي يشيد منها المسكن.

ثانياً - العمارة الدينية:

أما العمارة الدينية فعرف المسلمون بناء المسجد الذي ظهرت على تصميمه التعاليم الدينية، وروح الإسلام؛ لذلك شيد المصلى مربعاً، أو مستطيلاً حتى يستطيع المصلون الاصطفاف خلف الإمام، ومن معالم المسجد أيضاً المحراب، أو المنبر الذي يوجه ناحية القبلة. وأيضاً اختلفت المساجد باختلاف البيئات، فهناك المساجد البسيطة في تصميمها، وموادها التي شيدت بها، إضافة إلى بعض المساجد شيدت بها المآذن العالية، إضافة إلى الخلاوي التي لعبت دوراً مهماً في التعليم الديني في السودان واختلفت عمارتها باختلاف المناطق والبيئات.

ثالثاً - العمارة العسكرية:

لقد حث الإسلام على الاستعداد لمقابلة العدو، وإظهار القوة له بقوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠). وجاء في السنة النبوية قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف). لذلك اهتم الدين الإسلامي بالعمارة العسكرية، أو الدفاعية (الحصون والقلاع والطوابي والأربطة)؛ لتشكل الحماية ضد هجمات العدو، وخضعت هذه العمارة لموازين هندسية في تصميمها حتى تؤدي الوظيفة التي شيدت من أجلها، وكل هذه العمارة شيدت في مناطق إستراتيجية؛ لتسهيل عملية المراقبة، وكانت أسوارها عالية وسميكة، وفي بعض

الأحيان يكون لها أكثر من سور، وبها بعض الفتحات التي تعرف بالمزاغل (مرامي السهام). كما توجد في أركان السور أبراج للمراقبة (حجامي ١٩٨٧: ٥١٢).

خاتمة:

شُيدت في الفترة الإسلامية في السودان شتي أنواع العمارة (دينية ومدنية وعسكرية). وارتبطت هذه العمارة في تخطيطها بالظروف الخاصة بكل منطقة، وهذا أدى إلى وجود تباين واضح في العمارة والتخطيط، حسب البيئة المحيطة به، وكان الطين والحجر هما العنصران الأساسيان في تصميم العمارة بكل أنواعها.

لعب الجانب الاقتصادي دوراً مهماً في المواد الخام والتصميم؛ فغالباً ما نجد الأشخاص الذين يتمتعون بمستوى اقتصادي عالٍ قد شيدت عمارتهم من الحجارة، وأحياناً من الطين والحجر معاً، وأما الذين يتمتعون بمستوى اقتصادي متدنٍ فقد شيدت عمارتهم من الطين فقط.

إضافة إلى البيئة التزم الإنسان في تخطيطه للعمارة الإسلامية بالمنهج الإسلامي، خاصة في العمارة الدينية؛ حيث يتجه المحراب ناحية القبلة، ويكون المسجد مربعاً، أو مستطيلاً لاصطفاف المصلين، وراعى فيه البساطة، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. أما العمارة السكنية فراعى فيها الجوانب التي لا تتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية كالخصوصية السمعية والبصرية وعدم التطاول في البنيان، وبناء المسكن الشرعي، والاهتمام بتفاصيله الداخلية. وراعى حماية الإنسان من هجمات العدو والاستعداد له؛ لذلك تُعدُّ العمارة الإسلامية نتاجاً لتفاعلات كثيرة بين العوامل الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والطبيعية، وغيرها من المؤثرات التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص يختلف من مكان إلى آخر، ومن عصر إلى آخر.

نجد أن العمارة الإسلامية في السودان تميزت بطابع خاص لعبت البيئة والتعاليم الإسلامية أدواراً مهمة في مسالة التخطيط المعماري، وبالرغم من تغير الظروف المناخية إلا أن الالتزام بما تفرضه الظروف البيئية، والتعاليم الإسلامية موجود.

المصادروالمراجع :

١- أحمد آدم خليل، ٢٠٠٨: (الضوابط الإسلامية في تخطيط المساكن في مراكز العمران البشري) في مجلة الآداب جامعة أمدرمان الإسلامية – العدد الأول، ص ١١٩-١٣٨ – الخرطوم.

٢- الباشا، حسن ١٩٩٩: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية – المجلد الأول – لبنان.

٣- الشامي، صلاح الدين، ٢٠٠٠: السودان دراسة جغرافية – الإسكندرية.

٤- ثروت عكاشة، ١٩٩٣: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية –مطبعة دار الشرق.

٥- خليل الموسي، ١٩٩٥: (الشعر والعمارة العربية الإسلامية) في مجلة آفاق الثقافة والتراث العدد التاسع.

٦- حجامي إبراهيم، ١٩٨٧: (القلاع وتطور الفكرة الهندسية) في مجلة المنهل العدد٤٥٤ ص٥١٢. السعودية.

٧- عبد الفتاح وهيبة، ١٩٨٣: جغرافية الإنسان – دار المعارف، الإسكندرية.

٨- عبد الفتاح وهيبة،١٩٩٠: جغرافية العمران –دار المعارف، الإسكندرية.

٩- عيسي محمد عبد اللطيف، ١٩٩٣: المنظور البيئي للتنمية في السودان – الخرطوم.

١٠- عون الشريف قاسم، ١٩٧٢: دراسات في العامية في السودان- الخرطوم.

١١- معن زيادة، ١٩٨٨: (الآثار والحفريات على اتصال بشخصية الأمة ودورها الحضاري) في مجلة الفكر العربي، العدد٥٢ ص٤-١٢ – السعودية.

١٢- محمود إبراهيم حسين، ١٩٨٧، (العمارة الإسلامية شاهد علي التطور) في مجلة المنهل العدد ٤٥٤ ص٣٣٩-٣٤٥ المملكة العربية السعودية.

١٣- محمد عبد الهادي محمد، د.ت دراسات عملية في صيانة وترميم الأثار غير العضوية – مكتبة الزهراء.

١٤- محمد عبد العال إبراهيم، ١٩٧٦، البيئة والعمارة –الإسكندرية.

١٥- محمدين وآخرون، ٢٠٠٢، المدخل الي علم الجغرافية والبيئة – الرياض.